يقدّم افصاحات تؤكد قبوله لدور ملموس للمصالح الجماعية، كما يأخذ الاتجاهات القومية في الاعتبار على الصعيد الداخلي[٤٧]. ونلمس أثر هذه الاتجاهات الفكرية الجديدة في تصاعد التيارات القومية في كازاخستان وارمينيا واذربيجان وليتوانيا، فضلاً عن تحرّك الجماعات الاسلامية في جنوب الاتحاد السوفياتي. وهكذا، فان المرحلة المقبلة قد تشهد تشجيع التيارات الداعية الى احياء الآداب الفرعية لهذه القوميات، بما في ذلك التيارات الداعية الى احياء الآداب الصهيونية، ومنها «الصهيونية» التي تعتبر نفسها «حركة قومية لليهود». وقد تتدعّم هذه الظاهرة في ظل التواصل، وفتح باب العلاقة المباشرة، بين الجماعات اليهودية السوفياتية والقوى الصهيونية في اوروبا الغربية والولايات المتحدة الاميركية. بعبارة اخرى، قد تنتعش الافكار الصهيونية بين الجماعة اليهودية السوفياتية والاوروبية الشرقية، والاحتمال قائم، في حالة كهذه، ان تصبح هذه الجماعة قوة ضغط لها مصلحة في شدّ السياسة السوفياتية نحو اسرائيل بعيداً من الجانب العربي.

كذلك من المتوقع ان يخفّ العداء الايديولوجي السوفياتي للصهيونية، وذلك في اطار تخفيف الابعاد الايديولوجية للسياسة السوفياتية، بصفة عامة.

وقد بدأت بوادر هذه الظواهر الفكرية بالفعل؛ اذ رأت مصادر اسرائيلية ان الاوساط الحزبية السوفياتية لم تعد راغبة في السماح باستمرار حملات دعائية تهجّمية ضد اسرائيل، وذلك على أساس ان هذه الحملات قد تؤدي الى زيادة الحملات التعصّبية ضد اليهود، وهو أمر غير مرغوب فيه، لأنه يهدّد الاطار الاجتماعي الداخلي في الاتحاد السوفياتي ذاته[٤٨].

مثل هذه الاتجاهات، سوف يكون له صدى في شرق اوروبا، وقد يتسع مجال الحركة الصهيونية بين مختلف الاوساط الاجتماعية والفكرية على ساحة كانت مغلقة أمامها طوال العقود الاربعة المنصرمة. وفي ظل هذه الرياح الفكرية المواتية، تصاعدت الدعوة الصهيونية ـ الاسرائيلية، على نطاق واسع، الى العمل على استصدار قرار عن الجمعية العامة للأمم المتحدة يلغي قرارها السابق الرقم ٣٣٧٩، الصادر في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٥، والذي قضى، في ذلك الحين، بأن الصهيونية «هي شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري». وممّا يثير الدهشة، ان الدعوة هذه تأتي في وقت أفصحت الممارسات الصهيونية ـ الاسرائيلية عن عنصريتها المقيتة في أسوأ صورها، في اثناء، ومن خلال، ممارساتها الارهابية ضد المنتفضين في فلسطين المحتلة. وهكذا يمكن القول، انه اذا كانت التطوّرات الدولية قدّمت، بشكل أو آخر، هامشاً للتحرك الصهيوني ـ الاسرائيلي الفكري المضاد للجانب العربي ـ الفلسطيني، فان الممارسات الاسرائيلية، في الواقع الفعلي، تقدّم الفرصة ذاتها الى هذا الجانب، على طريق تثبيت قرار الامم المتحدة المذكور، وردفه بقرارات أخرى تعزّزه، استناداً الى وثائق دامغة عرفها العالم وقواه المختلفة، ولمسها بالصوت والصورة والتحقيق الميداني.

خاتمة

يمر النظام الدولي بتحوّلات عميقة. والاتجاه العام لهذه التحوّلات يشير الى اننا بصدد انفراج دولي كبير، يسعى، حثيثاً، على طريق التعاون بين القوتين العظميين. ولا شك في ان البنية المزمعة للنظام المتفاعل سوف تنعكس، بآثارها، على الصراع العربي ـ الاسرائيلي؛ وهو صراع كان العنصر الخارجي، أو البيئة الدولية، من أهمّ العناصر الحاكمة لمساره، منذ البداية.

وفي الحقيقة، ان للتشاؤم العربي مبرّرات كثيرة تجاه ما يحتمل من آثار للنظام الجديد في